

جماليات توظيف الرمز في الرواية الفلسطينية المعاصرة

-دراسة تأويلية في رواية "ماسة" لهاني السالمي-

*aesthetics of employing the symbol in the contemporary Palestinian novel -An interpretive study in the novel "Massa" by Hani Al-Salmi-*حليمة قاجوج¹

مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة

جامعة جيجل (الجزائر)

halima.kadjoudj@univ-jijel.dz

كمال بولعسل

جامعة جيجل (الجزائر)

kamel.boulassel@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2024/02/20 القبول 2024/04/13 النشر على الخط 2024/06/01

Received 20/02/2024 Accepted 13/04/2024 Published online 01/06/2024

ملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية التركيز على البعد الرمزي في الرواية الفلسطينية، كون هذه الأخيرة تزخر بالعديد من الرموز السياسية والتاريخية والدينية، حيث اتخذها الكُتّاب وسيلة لتمير أفكارهم، وإجبار الرأي العالمي على إعادة النظر في القضية الفلسطينية المسكوت عنها عمداً، عن طريق كشف أهوال الاحتلال الإسرائيلي، الذي استطاع -بواسطة تدعيم القوى الغربية- زعزعة الأمن القومي للفلسطينيين، وتشيت ما تبقى من الهوية الفلسطينية. ولفضح هذا السياق الاستعماري تمّ اختيار رواية "ماسة" لمؤلفها هاني السالمي، لما تلمّسناه فيها من زخم معرّبي، وبعد رمزي، يؤهلها لتكون رسالة إنسانية موجهة لكافة القراء داخل البلاد الفلسطينية وخارجها، ولعل ما يثير الانتباه حولها؛ استهداف الوتر الحساس لدى كل مسلم عربي، هو المرأة الفلسطينية التي عانت ويلات الاحتلال، وبقيت رغم ذلك صامدة في وجه كل الأساليب التي تستهدف تدنيس شرفها ومسخ هويتها العربية الإسلامية الفلسطينية، وظلت تقاوم الاحتلال بما تملك من ثقافة ولغة ودين.

الكلمات المفتاحية: الرمز، الرواية الفلسطينية، الاحتلال الإسرائيلي، الهوية العربية، رواية "ماسة".

Abstract:

This research aims to dismantle the symbols implicit in Hani Salmi's novel "Massa" and give it an interpretive dimension.

and the conclusion has been reached that the Palestinian novel is rich in coded messages; the Palestinian writer wants to deliver them to the Arab reader, which always exposes the intentions of the Israeli colonizer in Judaizing and dispersing what remains of the Palestinian and Arab identity. The abstract refers to the importance of research, its problems and the most important results.

Keywords: symbol, Palestiniannovel, Israeli occupation, Arab identity ,novel "Masa".

1. مقدمة:

لقد تم استخدام الرمز كتيمة مركزية في الإبداع الشعري أولاً؛ لأنّ هذا الأخير يعتمد على التلميح كوسيلة لإغراء المتلقي، فيكون الرمز بذلك واجهة القصيدة وقلبها النابض، بما يمنحه من جمالية لغوية ومعنوية للشعر والذات الكاتبة معاً. ثم انتقل استخدام الرمز إلى الكتابة النثرية، واحتل مكاناً مهيماً في عتبات النص الخارجية كالعنوان، والداخلية بداية من الأسماء المنتخبة للشخصيات وصولاً إلى الأفضية الزمانية والمكانية، مروراً بعنوانين الفصول ومحطات التوقف داخل الخطاطة السردية.

وانطلاقاً من هذا التصور حاول النقاد العرب - بعد تأثرهم الواضح بالدرس النقدي الغربي - تتبع تطور الرمز ككيان ملموس في الروايات العربية، فاستحدثوا آليات وأدوات تكشف المعاني المتخفية وراء كلمات بعينها داخل النص الأدبي، وتشكل علاقات متشابكة مع المداليل الأخرى، حتى تغدو الكلمة رمزا عاما يهيمن على الوحدات الكبرى والصغرى داخل النص، ويكون بمنزلة اللبنة التي إن زالت تحطم جدار المعنى.

وإذا تتبعنا المواضيع التي يكثر فيها استعمال الرمز، نجد المواضيع السياسية؛ نظراً للرقابة الممارسة من طرف الأنظمة السياسية على دور النشر، في ظل غياب الديمقراطية وحرية التعبير، مما أجبر الكتاب على اختيار رموز بعينها، تكون بمثابة سنن مشفرة بين النص والمتلقي، وقد نعطي مثلاً على ذلك رمز "الأندلس" الدال على ضياع وتشتت الهوية العربية، ورمز "المسيح" الذي يحيل إلى حق عودة الفلسطينيين إلى بلادهم بعد التهجير الصامت الذي مارسه الصهاينة على المقيمين داخل حدود فلسطين.

وسنحاول في هذه الورقة البحثية التركيز على البعد الرمزي في الرواية الفلسطينية، لافتراضنا أن هذه الأخيرة تزخر بعدد الرموز السياسية والتاريخية والدينية، التي اتخذها الكتاب وسيلة لتمرير أفكارهم للرأي العالمي، وإجباره على إعادة النظر في القضية المسكوت عنها عمداً، بكشف مساوئ الاحتلال الإسرائيلي، الذي استطاع بواسطة تدعيم القوى الغربية زعزعة الأمن القومي، وتشتيت ما تبقى من هوية فلسطينية.

هذا المستوى من الدراسة يطرح العديد من الأسئلة حول مكان الرمز في الرواية الفلسطينية، وكيف حاول الكتاب استثماره لفضح نوايا الاستعمار العسكري والثقافي الذي يكنه الصهاينة للذات الفلسطينية، وبماذا تميزت الكتابة الأدبية لدى أنصار القضية الإنسانية الداعين إلى إنصاف اللاجئين ومنحهم حق العودة وتقرير المصير في ذواتهم وأراضيهم؟.

ولتوضيح هذه الفكرة قمنا بالاشتغال على رواية "ماسة" لمؤلفها هاني السالمي، لما تلمّسناه فيها من زخم معرفي، وبعد رمزي، يؤهلها لتكون رسالة إنسانية موجّهة لكافة القراء داخل البلاد الفلسطينية وخارجها، حيث سنحاول التركيز على الأبعاد الرمزية وتأويلها سيميائياً، لأجل تفكيك الرسائل المشفرة التي يتغنى الكاتب الفلسطيني إيصالها للقارئ العربي عن طريق اختيار كلمات بعينها تكون بمثابة مشترك لفظي ومعنوي بين صاحب الرسالة ومتلقيها، والتي دائماً ما تفضح نوايا المستعمر الإسرائيلي في تهويد وتشتيت ما تبقى من هوية فلسطينية وعربية.

2. الرمز وجماليات حضوره في الرواية العربية المعاصرة:

لقد تعددت مفاهيم الرمز في الدراسات العربية القديمة والحديثة، ولكن تتفق معظمها في كونه «كلمة أو عبارة أو تعبيراً آخر يمتلك مركباً من المعاني المترابطة، وبهذا المعنى ينظر إلى الرمز باعتباره يمتلك قيمة تختلف عن قيم أي شيء يرمز إليه كائناً ما كان،

وبذلك يكون العلم وهو القطعة من القماش يرمز إلى الأمة والصليب يرمز إلى المسيحية والصليب المعقوف يرمز إلى النازية.. إلخ»¹، وهو عبارة عن دوال مشتركة بين جميع فئات المجتمع، تم تداولها في عصر معين، حتى شاعت بين كل الأجيال، وأصبحت في حكم المتواضع عليه.

ولكن تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن الرمز الأدبي لم يكن متواضعا عليه كما هو الحال في الرموز العامة «وإنما أساسه اكتشاف نوع من التشابه الجوهرى بين شيئين اكتشافاً ذاتياً غير مقيد بعرف أو عادة، فقيمة الرمز الأدبي تنبثق من داخله، ولا تضاف إليه من الخارج»²، حيث تعمل على تحديد تلك القيمة العلاقات المتشابهة داخل العمل الأدبي، فالشاعر يعمل على تشكيل رموزه انطلاقاً من مجموعة من الاختيارات، ثم غربلتها، وأخيراً إضفاء شيء من اللسمة الذاتية عليها.

ويعد الرمز حليف الشاعر في إبداعه، فهو وسيلة إيحائية من أبرز الوسائل الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر «عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، يثري بها لغته الشعرية، ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصي على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة»³، فأحدث الرمز كأداة تعبيرية تنقل أفكاره غير المرغوب في اكتشافها إلى المتلقي، الذي يعمل بدوره على فك شفرات النص واستخراج الدلالة من مكانها، وإعطائها أبعاداً تأويلية جديدة.

والرمز كقيمة حضارية هو تواصل شعبي يعمل على تبيان «أساس المنهل الإبداعي ولفه بغلالة القبول والانتشار ضمن مساحة الموروث والمكتسب وغالباً ما تختلف القيم الرمزية المعبر عنها في رموز بعينها عن الشيء المرموز إليه»⁴، ويرجع هذا في الأساس إلى القيمة الرمزية التي يمنحها المبدع للكلمة أو الجملة أو النسق النصي ككل، حتى تتشكل صورة رمزية مكتملة الملامح، تسعى إلى تأكيد ذاتها داخل النص باعتباره معطى رمزي اجتماعي.

ولتأكيد هذه الفكرة نورد تعريفاً للناقد الفرنسي تودوروف (Tzvetan Todorov) يعتقد فيه أن الرمز «دليل - لا تحكيمي؛ لكن ذلك إنما يعني أن بين مختلف مستوياته، وبين أجزائه كذلك، علاقة منتظمة؛ وهذا الوفاق الداخلي أيضاً يصير شكلاً جديداً للدلالة، هو الدلالة اللازمة؛ تحيا بالفرن ولا ترجمة لها بأي لفظ كان»⁵، فدلالة الرمز تتشكل داخل السياق اللغوي الذي اختاره الكاتب للتعبير عن رأيه حول فكرة ما، وقد يتخذ دلالة أخرى إذا تم تداوله في نصوص لاحقة لنفس المبدع أو لكاتب آخر.

وتزخر الحضارة الإنسانية بالعديد من الرموز اللغوية وغير اللغوية، يحاول الإنسان فهمها لأجل وضع مفهوم واضح ومشترك للطبيعة، فكان من نتيجة ذلك أن تم استحداث منهج فكري يحاول دراسة تلك الرموز وتفكيكها، هو السيميوطيقا الأمريكية، التي أسهمت في تفسير منطق الرموز وطريقة تكوينها بين أفراد المجتمع الواحد. وإذا افترضنا تصنيف تلك الرموز بالتركيز على المدلول الثاني الذي تحيل إليه، نقسم الرمز كالتالي:

¹ إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدنين، تونس، د.ط، 1986، ص171.

² محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، ط3، 1984، ص37.

³ علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، مصر، ط4، 2002، ص104.

⁴ زهيرة بوزيدي: جماليات النص الشعري الصوفي عند الأمير عبد القادر الجزائري، دار خيال، الجزائر، د.ط، 2021، ص64.

⁵ تزفيتان تودوروف: نظريات في الرمز، تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2012، ص510.

➤ الرمز الطبيعي:

لقد مثلت الرموز الطبيعية قاسما مشتركا بين جميع الشعوب، إذ إنها ترتبط بالذاكرة الجماعية العالمية، التي قدمت لنا صورا راسخة في أعماق ذاكرتنا تطفح على السطح حيننا بعد حين، «فالشجرة تففز إلى خيالنا كلما عت لنا تصوير الحياة أو الموت. وكذلك الماء: حياة إن سال وطاب، وموت إن أسن وتكدّر. أما الفصول فهي إيقاع دوري رتيب يحاكي رحلة الإنسان في الكون. ولعل كونية الصور الطبيعية تعود أيضا، إلى احتياجنا إليها، فلا يمكن لأيّ إنسان أن يستغني عن الطبيعة ويؤسس عالمه منفصلا عنها، لأنها متجذرة فيه رغما عنه. ومن هنا يبتدأ الجانب الطبيعي المشترك بين الإنسان وسائر المخلوقات»¹، وتعد هذه التركيبية الرمزية أبرز تظاهر سيميائي، لما لها من دور في إحداث التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، وهي رموز توفيقية في الأساس، ألبسها الإنسان معاني جديدة، نظرا للتطورات الحاصلة في الواقع أولا ثم النصوص الأدبية ثانيا.

وينقسم الرمز الطبيعي إلى مكونين؛ الأول نباتي، ويعد عنصرا أساسيا من عناصر تشكيل المشهد الطبيعي، وكثيرا «ما يكون فاعلا في السرد، مؤثرا في الأحداث، معبراً عن كوامن الشخصيات. وهو لذلك يتجاوز كونه أسلوبا من أساليب عرض الفضاء يعتمد على السارد لتأطير المشاهد فحسب، ليصبح تقنية من تقنيات القصة (Recit)، بما أنه يحمل وظيفة في السرد لا تكون الحكاية دونه، ولا ندرك المقاصد بمنأى عن حضوره»²، إذ يملك القدرة على توضيح معالم الفضاء المكاني الذي تدور فيه أحداث الرواية، ويعد المخز الأكبر للذاكرة، التي تقاوم سطوة المكان لخلق عالمها الرمزي الخاص داخل أجواء الرفض والمقاومة.

أما المكون الثاني فهو الرمز الحيواني الذي يستند إلى الرمزية الأنثروبولوجية المشتركة بين جميع بني البشر، ويشكل «إطاراً مرجعياً للإنسان يحدد منزلته هو وقيمه سلبيا وإيجابا، ذلك أن الحيوانات، لما بينها من تشاكل وتمائل ولما بين عالمها وعالم الإنسان من تشابه قد أصبحت رموزا ذات أبعاد متعددة لاتصالها بمستويات جديدة من حياة البشر منها ما هو عقائدي ومنها ما هو نفسي ومنها ما هو اجتماعي رموزا متغيرة من حيث دلالتها تبعاً للنظام الفكري العقائدي الاجتماعي الذي تندرج فيه»³، فكل نظام يسعى إلى تجسيد رؤيته اتجاه العالم، انطلاقا مما تواضعت عليه عقيدة الأوائل ثم القبيلة ونظرتها للقيم الدلالية التي يحملها رمز الحيوان وصوته.

➤ الرمز التاريخي:

يتشكل الرمز التاريخي داخل الرواية عن طريق استرجاع أحداث ماضية الوقوع وإسقاطها على مجريات الواقع، لتمرير فكرة مناهضة لمآل العلاقة بين الشعب والطبقة الحاكمة، فيلجأ الروائي إلى خلق عوالم تخيلية مستنبطة من الماضي القريب أو البعيد، مع تغيير بعض الأحداث لتتوافق والراهن السياسي والثقافي المعاصر، وقد يعمد الروائي إلى تسليط الضوء على شخصية تاريخية مشهورة ذاع صيتها في عصر معين، تعكس صورة الإنسان القديم وطريقة تفكيره، فيحاول التغلغل في كوامنها الداخلية بأنسجة حكاية لا تخلو من لمسات حديثة من ناحية الأسلوب أو المضمون.

¹ المنجي بن عمر: الرمز في الرواية العربية المعاصرة، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، ط1، 2021، ص 112.

² المرجع نفسه، ص 114.

³ محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ج1، دار الفارابي، لبنان، ط1، 1994، ص 345.

كما يندرج ضمن هذا العنصر ما يمكن تسميته "الرمز التراثي"، ويلجأ الكاتب عند اعتماده إلى الموروث الشعبي، بشخصياته وأمثاله، وكلها تدخل ضمن التراث العالمي، الذي يجب اقتناصه لمن أراد تطوير أسلوب كتابته، وتجريب تقنيات جديدة في الكتابة الروائية، خاصة عندما تحول مجال اهتمامها إلى النخبة، فصارت صعبة الترويض للقارئ العادي، وهذا راجع إلى الرموز الحكائية المعتمدة في تشكيل اللغة الروائية والحدث الروائي أيضا. تجدر الإشارة كذلك إلى الفضاء الروائي، الذي يحاول الكاتب تسليط الضوء عليه من خلال اختيار أماكن ثقافية، لها وزن ثقيل في الذاكرة العربية كالأندلس وفلسطين اللذان يجعلان إلى الضياع والتشتت وتدهور الحضارة العربية، وانهايارها أمام قوة الأجنبي وسطوته.

➤ الرمز الديني:

يعتمد الكاتب في توظيفه لهذا الرمز على التراث الديني من شخصيات دينية معروفة في السجل التاريخي الحافل بأحداث الغزوات والمناظرات، كذلك الأماكن المقدسة كالمسجد الأقصى، الذي يعاني ويلات الحرب والعنصرية، والكعبة المشرفة موطن التائبين، وكنيسة القيامة التي تعد مزارا لأصحاب العقيدة المسيحية في أنحاء العالم، وغيرها الكثير..

ولعل من نافلة القول التذكير بأهمية الرمز الديني في تمرير مسائل دينية، تعبر عن الصراع العقدي بين الإنسان وأخيه الإنسان، أو تصوير أهمية الاختلاف في كشف الثراء الفكري بين أبناء الدين الواحد، أو التركيز على المعاناة التي يعيشها أفراد ديانة بعينها، كونها تخالف المعتقدات العامة المشتركة بين العقائد الأخرى.

3. الرواية الفلسطينية بين جمالية الرمز وسوداوية الواقع:

لقد حاول الكتاب العرب في جلّ كتاباتهم الروائية والشعرية رسم معالم الهوية الفلسطينية، التي حاول المحتل مسحها بكل الأدوات الحربية المحرمة، وتحديد نقاط ضعف الدول العربية أمام القوة الاستيطانية، هذا لأنّ فلسطين تعد مرآة «تعكس حال الأمة العربية، ورديفتها الإسلامية. فضعف الأمة يؤدي إلى ضياع فلسطين وخروجها من محيطها العربي، وقوتها تظهر عند استرداد فلسطين وردّها إلى حاضنتها الأم، وفي جميع حالات خروج فلسطين من أيدي أصحابها الشرعيين، كان الصراع حول جغرافية الأرض، بمعنى صراع حدود، إلا أن الصراع مع الصهيونية حول فلسطين ليس صراعا حول أرضها فقط، بل هو صراع حول تاريخها، وثقافتها، وماضيها، وحاضرها ومستقبلها وموروثها الأدبي وتراثها الإنساني، إذ لم يترك المحتل أي شيء يخص فلسطين وأهلها إلا سرقه، بدءا من تزييف التاريخ والتلاعب بالجغرافيا اسما ورسمًا، وصولا إلى سرقة شطيرة الفلافل، وصحن الحمص، والثوب المطرز بألوان مرج بني عامر في فصل الربيع»¹، وتدخل ضمن ذلك أيضا الهوية والثقافة والدين، إذ لم يكتف المحتل الصهيوني بسرقة الأرض وما فيها «بل وضع قبل ذلك أسسا مُمنهجة لسرقة تاريخها، ونسبته إلى أقوام غرباء، لم تعرفهم في أي مرحلة تاريخية، سبقت الاستيطان الذي بدأ مع ظهور الفكر الاستعماري»²، فأراد المحتل بذلك خداع العالم والتلاعب به، من أجل السيطرة على جغرافيا وتاريخ دولة عربية، توهم يوما أنّها موطنه الأصلي.

¹ محمد احربك: الوعد الخرافي أسطورة التواجد الإسرائيلي في فلسطين، مكتبة دهوك، فلسطين، د.ط، د.ت، ص8.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وقد كان من مهام الرواية الفلسطينية كذلك فضح المخططات الإسرائيلية، وكشف ألاعيب اليهود ونواياهم السيئة في السيطرة على العالم والتعمير في دول عربية بعينها، من أجل نهب الثروات ونشر ثقافة الظلم بين أبناء الدين الإسلامي، تلك المخططات ذات «طبيعة استيطانية، تناقض وتنفي الوجود الوطني والعربي والإسلامي في فلسطين وما حولها، وذو وظيفة إمبريالية غربية، تجعل من الكيان الصهيوني جسماً غريباً، وغريباً، مزروعاً بالقسر في قلب وطن أمتنا، يقطع وحدة أرضها، ويجهض محاولات نهوضها، ويتصدى بالعداء لصيغة يقضتها، قومية تلك الصيغة أو إسلامية»¹، ولعل خير وصف لقضية فلسطين، توصف به في إنجاز «أنها مأساة يتناسى أهل الرأي في سياسة العالم كيف نشأت، فيعتذر عليهم أن يهتدوا إلى حل لها»²، وهذا تمهيش مقصود، يراد به زعزعة الأمة العربية وسلب مقوماتها الثقافية والدينية وحتى المادية، ليرفرف في السماء علم مجهول، كُتب له الثبات بالقوة الدبلوماسية والعسكرية.

ولهذا دعت الرواية الفلسطينية إلى ضرورة التمسك بثقافة الأنا العربية ونشر الوعي بين كافة أفراد المجتمع، إذ لا معنى لفهم القضية دون التحرك بها في الأوساط الشعبية، ونحن كلما «نظرنا إلى الظلم الواقع على الفلسطينيين وتجرُّب الصهاينة وسعيهم لتوسيع دوائر نفوذهم، وتقطيع أوصال الأمة؛ تأكد لنا أنه لا بُدَّ من تحريك القضية الفلسطينية في كل محفل وبكل وسيلة وبأقصى سرعة، وهذا واجب حتمي على الجميع، لحفظ القضية من الموت أو النسيان، فالوقت ليس في مصلحة القضية؛ ومع مرور الوقت يزداد عدد الشهداء، وتهدم المنازل، وتُجرَّف الأراضي، ويشتت الناس، وتزداد المستوطنات، وتُغلق الحدود والمعابر، ويزيد الصلف الصهيوني، وقبل هذا كله يألفُ الناس ما يحدث، وتتجَرَّ القلوب.. وكل هذا يُكثِّر من أوراق الضغط الصهيوني علينا»³، وهذه رسالة موجهة إلى كافة الشعب العربي، من أجل إعداد العدة ومراوغة العدو، إن لم يكن بالسلاح، فبالخطابات المضادة للاستعمار، لأن المعركة مستمرة «والجولة الثانية آتية على الأرجح، وعلينا أن نعيش روح الحرب بنفسية الحرب وعقلية الحرب، وغدا سترغم إسرائيل على أن ترتد لقوقعتها، وبعد غد ستسحق داخل قوقعتها بالدم والنار والحديد العربي ورغم كل طغيان الإمبريالية الأمريكية السفاحة وتأمير قوى الشر والعدوان العالمي»⁴.

وتتفق معظم الروايات الفلسطينية على تصوير الراهن من الأحداث السياسية والاجتماعية التي تعيشها المناطق المحتلة من طرف العدو الصهيوني، وتمنح نظرة استشرافية للمستقبل، كلها آمال في عودة الحرية والعدالة للأراضي الفلسطينية، ويمكن حصر أهم القضايا التي تعمل الرواية العربية على تسليط الضوء عليها في النقاط التالية:

- استرجاع أحداث النكبة 1948م، ومآسي التهجير الصامت الذي مارسه المستوطن لإخراج الفلسطيني من أرضه وعشيرته، وتعمير أرضه بالقوة، كي لا يترك أي شجاعة في قلب العربي الخائف من التصفية الجسدية والتعذيب إن هو طالب بالعودة إلى داره وممتلكاته.

¹ محمد عمارة: إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين، دار نهضة مصر، مصر، ط1، 1998، ص7.

² عمر صالح البرغوثي، و خليل طوطح: تاريخ فلسطين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ط، 2001، ص3.

³ راغب السرجاني: فلسطين واجبات الأمة، مؤسسة اقرأ، مصر، ط1، 2010، ص38.

⁴ جمال حمدان: فلسطين أولاً.. إسرائيل، مكتبة مدبولي، فلسطين، د.ط، د ت، ص398.

- تصوير حياة اللاجئين والمهاجرين وأبناء الخيام في لبنان وأطراف الأردن، الذين تركوا أراضيهم قسرا، وخرجوا إلى الصحراء طلبا للإغاثة من البلدان العربية الشقيقة.
- تسليط الضوء على نتائج الخيانة بعد هزيمة الدول العربية أمام إسرائيل في حرب 1967، وآثار النكسة على الكتابة الروائية، حيث شعر الأدباء والكتاب بالخيبة وفقدان الأمل وضياع الكرامة، حتى منهم من آثر الصمت واختار مغادرة الساحة الأدبية.
- الدفاع عن القدس كمعلم ديني إسلامي، وفضح ممارسات العنف ضد الزائرين، والتمييز العنصري الذي يعانيه أبناء فلسطين أمام الأقلية اليهودية.
- الدعوة إلى الهجوم على الحواجز السلوكية والإسمنتية التي تمنع الفلسطيني حق التجوال في أرضه كما يريد، وهذا دليل هيمنة غربية على أراضي فلسطين، حيث حولتها إلى فصائل متفرقة وضعيفة، لا تستطيع مؤقتا النهوض لوحدها إلا باتحاد الدول العربية مع بعضها، والصمود في وجه كل القوات الدخيلة.
- نقد التطبيع الذي وافقت عليه مجموعة من الدول العربية، كحل سلام واعتراف بالدولة الإسرائيلية، وضمن الحفاظ على حقوقها وأمانها الداخلي والخارجي.
- التركيز على تحديد معالم الهوية العربية والدفاع عنها بالمقاومة الثقافية، لأجل الحفاظ على كرامة دولة مشتتة، قد تذهب فجأة، كما ذهبت غرناطة الأندلس بالأمس القريب، والتاريخ يعيد نفسه.
- هذه أبرز القضايا التي عرض إليها الكتاب الفلسطينيون، حيث عملوا على إبرازها وإرشاد القارئ إليها، وتقرير أفكار الصمود والمقاومة إليه عن طريق رموز بعينها، لها دور في استشراق خطوات العدو وتحليل أساليبه الاستعمارية.

3. البعد الرمزي في رواية "ماسة" لهاني السالمي:

تحمل رواية "ماسة" رمزية خاصة، انطلاقا من العنوان، وصولا إلى خاتمة الرواية، فهي تجمع رمزي لدوال لغوية ثقيلة الدلالة، وظفها الكاتب لتمرير رسائله الخفية للمتلقي العربي، بغية إيقاظه من حياة الغفلة التي يعيشها، ومشاركته تفاصيل حياة الفلسطيني بقرب الجدار العازل، الذي قسم فلسطين إلى فصائل متباعدة ومشتتة.

1.2. رمزية النبات:

رَّكَّز الكاتب على تكرار نباتات بعينها طيلة الرواية، حيث حَمَلَهَا دلالات خاصة، تشير في عمومها إلى وصف التنكيل الإسرائيلي بالأرض المقدسة، من خلال حرق أشجارها وقطعها، في محاولة لطمس هوية الفلسطيني المتمسك بأرضه وثقافته، كون فلسطين تتميز بغطاء نباتي ضخم، فهي بلاد الزيتون واللوز، ويمكن تعداد تلك النباتات في النقاط التالية:

➤ شجرة اللوز:

تعدّ هذه الشجرة رمزا مقدسا عند كتّاب القضية الفلسطينية، فهي تحيل إلى الحياة الآمنة قبل دخول المستوطنين، وإلى الديمومة والتجديد، تقول ماسة بطلّة الرواية: «زرع جدّي أشجار اللوز حول المزرعة، وأذكر مشهد أشجار اللوز، وهي تلفُ المزرعة

كأنها راقصات باليه، ترقص لثمرة الكرنب. في مزرعتنا ستون شجرة، كل ما احتفل جدّي وجدّي بيوم زواجهما زرعا شجرة، وكلما أنجبا طفلاً احتفالا بزراعة شجرة أخرى، وأغلب ما زرع على محيط مزرعتنا أشجار اللوز¹، وهذه إحالة جميلة إلى عمر الاستعمار زمن كتابة الرواية، وأمل الشعب الفلسطيني في مزيد من الحياة والمقاومة، فرغم الاعتداء التعسفي على المزارع والأراضي، يبقى قلب الفلسطيني ثابتاً لا يبرح مكانه، لأنه إذا تخلّى عن أرضه، سيتخلى حتماً عن قضيته، ومن ثم لا أمل في العودة: «توفي جدّي، وبقيت المزرعة تقاوم، والجدار يكبر يوماً بعد يوم. أبي وعمي وأولادهم كلهم يحاولون أن يقفوا أمام تهويد مزرعتنا. دُفن جدّي عند آخر شجرة لوز زرعتها هو وجدّي»²، وهذا دليل الاستمرار في المقاومة، كي لا يتم تهويد فلسطين، والمزرعة هنا هي البلاد كافة، تعبير عن الكل بالجزء، فلسطين الجريحة التي عانت ويلات الاحتلال والتقسيم لستين عام وأكثر تدعو إلى زرع المزيد من أشجار اللوز احتفاء بالعودة المنشودة، واستجداء بأيام الماضي الجميل.

➤ نواة المشمش:

تحيل نواة المشمش في الرواية، إلى الحياة البريئة التي يعيشها أطفال الحارات الفلسطينية، الذين يحاولون اختراع ألعاب بريئة، تكشف طموحا خفيا في مقاومة الحزن، بالتماس القناعة في أشياء بسيطة، من شأنها غرس مشاعر الفرح في القلوب، وكشف مقدار القوة التي يتمتع بها الطفل الفلسطيني الذي لا تغريه نقود العدو، بل يقنعه القليل من تراب أرضه: «نظل ساعات تحت الشمس نلعب، ثم يتحول اللعب إلى العراك على بذور المشمش، بثهمة الغش في إلقاء النواتين في الحفرة. ونظل نتدافع، ويشدُّ بعضنا ثياب بعض، حتى يتنازل أحدنا عن نواة المشمش للآخر. وفي نهاية اليوم نعود إلى البيت بأكياس كبيرة من المشمش. ليس هناك فائدة تُذكر لما نجمعه من النوى، سوى الشعور بأننا قد ربخنا شيئاً، فهي مجرد تسلية، نهايتها عراك»³، هذا العراك يزداد شدة مع ذوي البشرة البيضاء الذين يرمزون إلى عشيرة بني صهيون، الذين يخسرون في النهاية لأنهم في مواجهة أطفال الحجارة، أصحاب المقاومة الذين يعرفون جيدا كيف ترمى ومتى تُقذف وأين تصل بدقة، فلا تترك مجالاً للخسارة.

➤ أوراق النعناع:

تعد أوراق النعناع ذات الرائحة الزكية والشكل البهي أيقونة الكفاح والمقاومة في الرواية موضوع الدراسة، فهي القادرة على ردّ أذى البعوض/الجندي الإسرائيلي، وتزكية الذات الفلسطينية، بمنحها فوائد المميّزة: «كان الطبيب ذكياً، حين أخبرنا بمعلومة هامة: "أما البعوض، فضعوا قليلاً من النعناع بالقرب من فراشكم، فلن يهاجمكم." لو أن الجنود مثل البعوض، بقليل من النعناع نخرجهم من فراشنا، من أحلامنا، من نومنا، من مزرعتنا»⁴، لكنّه في الأخير نبات، لا قوة له لمنازعة العدو إلا بثبات قاطفيه، واتحادهم في وجه المحتل، الذي يريد التنكيل بالمزرعة (فلسطين) وتحريقها، وإبادتها عن بكرة أبيها، لا يهيمه في سبيل تحقيق مخططاته الصهيونية، يُثم أطفال أو تشريدُ رجال أو موت نساء، ذلك الذي يدعي وجوب تحقيق الاستقرار العالمي، والاهتمام بحقوق الإنسان.

¹ هاني السالمي: ماسة، مؤسسة هندواوي، مصر، د.ط، 2021، ص8.

² المصدر نفسه، ص59.

³ المصدر نفسه، ص21.

⁴ المصدر نفسه، ص48.

2.3. رمزية الألوان:

أراد الروائي من خلال تجميع الألوان داخل روايته، رسم معالم القضية الفلسطينية، وتلوينها مجازاً بألوان رمزية، تحيل في صبغة منها إلى القوة والانتصار اللذان يعقبان كل عزيمة وإرادة مخلص في النجاح والتجاوز، والصبر والتجملد إن طال عمر الحصار أكثر، وازداد تحافت الصهاينة على الدولة الفلسطينية، وسنحاول في النقاط التالية تجميع الألوان بدلالاتها كما عبر عنها الروائي:

➤ اللون الأبيض:

يحمل اللون الأبيض في العادة دلالة الطهر والنقاء، فالذي يعتاد لبس هذا اللون، يُعرف بين أبناء جنسه بالخلق الجميل والحكمة النيرة والعلم النافع، حتى أنه استخدم لونا للكفن، ليحمل حسنات صاحبه إلى الدار الأخرى كما هو معتقد في الكتب الدينية الأولى، وهذه الدلالة الأخيرة تنطبق في جزء منها على مدلول هذا اللون في الرواية: «حين مات الصغير تحوّل لونه إلى الأبيض، وألبسه جدّي قماشاً أبيض، كم كان جميلاً في موته! أخذته الرجال إلى مكان بعيد جداً، لم نعرفه، فلم نُزِر قبره أبداً»¹، وقد يرمز في سياق آخر إلى ضعف وهوان أصحاب البشرة البيضاء، المقصود بهم سياح الغرب القادمين لرؤية المعالم المقدسة، وأبناء المعمرين اليهود، الذين لم يكتسبوا المناعة الكاملة لمواجهة أصحاب الحجارة المتمرسين على الهجوم إن اقتضى الوضع ذلك: «الوحيد الخاسر، هو الولد الأبيض، ذو الحدود المنتفخة، فحين يبدأ العراك، يحاول أن يهرب. ولكن مزبون يلحق به، ويمسكه، ويضربه، فتحمرُّ خدوده أكثر كأنها حبة طماطم طازجة (...). الأطفال البيض والأنيقون سيكون؛ لأنهم خسروا ما يملكون دون لعب، وثيابهم اتسخت من العراك»²، وهذه صورة مصغرة للصراع الدائر بين الدولة الفلسطينية وبني صهيون، اختزلها الكاتب في مشهد صغار يتعاركون بعد انتهاء لعبة مسلية. واللون الأبيض يعبر كذلك عن الأمل: «الأمل يا أولاد أن تكونوا متفائلين، وتروا كل الأشياء بيضاء»³، فهو دليل صفاء داخلي ورؤية جميلة للأمر، رغم كل الظروف القاسية التي يمر بها الشعب الفلسطيني في كل زاوية من أرضه التي شوهد الخراب.

➤ اللون الأسود:

اللون الأسود في هذه الرواية رمز امتياز مشهود، يفوق جمالا لون البشرة البيضاء، فهو يحيل إلى القوة وعظمة الصبر، التي يتميز بها أطفال الحجارة ورجال فلسطين ونساء البوادي على السواء، وهم يتصدون القنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطي، وكل أسلحة المحتل: «كنا كثيراً ما نُدافع عن أبناء مدرستنا ضدّ أبناء المدرسة المجاورة أثناء العودة إلى البيت، فإذا بهم يفرّون جميعاً، ويقولون بصوت عالٍ: "جاء السود، اهربوا". فيهربون، وأضحك أنا وأولاد عمّي وإخوتي»⁴، والسواد كذلك يحيل إلى التاريخ الحافل لفئة من الشخصيات التاريخية والسياسية التي تتفق في لون البشرة السوداء، استثمارها الكاتب لزرع الأمل في نفوس الفلسطينيين: «حين ينقص الدخل، والمزرعة لا تفي بوعدها من المنتجات؛ إذ كانت الثمار تُصاب ببعض الأمراض أو الحشرات، ومعلومات

¹ هاني السلمي: ماسة، ص24.

² المصدر نفسه، ص22.

³ المصدر نفسه، ص42.

⁴ هاني السلمي: ماسة، ص18.

عائلتنا بسيطة في المكافحة، يصبح المال والطعام قليلين، يقول جدّي: "نحن من أصول أفريقية، وأفريقيا مشهورة بالصبر والجوع." كل مساء لنا أصل، ولنا قصة، من أين جئنا؟ لكن أجمل مساء ضحكنا فيه كثيراً، حين كان من المتوقع للمرشح في الانتخابات الأمريكية "بارك أوباما" الفوز برئاسة أمريكا، والكل معجب بشخصه، قال جدّي: "هذا الرجل بن خالتي الموجودة في الصومال."¹ وهذه كلها رموز تعبر عن القوة والصبر والتضحية، والوقوف في وجه الظلم والظالمين، ورفض التمييز العنصري، والاعتزاز بالأنا المختلفة لونا وعرقا ودينا وثقافة.

➤ اللون الأحمر:

يحمل اللون الأحمر في الرواية إلى قوة الاحتلال الإسرائيلي عدة وعددا، وصلابة جنوده، وقساوة معاملتهم مع الفلسطينيين، وهو رمز الدم والموت والتضحية في سبيل نيل الحرية والاستقلال: «حقيبي الحمراء، اشتراها أبي من سوق الأدوات المستعملة، صنعت في إسرائيل، قوية جداً، زميلاتي في الفصل يُغيّرن حقائقهنّ كلّ عام دراسي، ولكنّ حقيبي تظلّ صامدة في كلّ المواسم، لا يهتّمها فصل الصيف ولا الشتاء، بها عشرات الجيوب وما زلتُ أكتشف جيوباً جديدة، وأجدها مفيدة لإخفاء بعض الأسرار. من حظّ عائلتي أنها حقيبة قوية، فلن يستطيعوا شراء حقيبة كلّ عام لسوء الحال. وحين أمسحها بقليل من الماء تعود جديدة، أحبّها كثيراً، لأنها حمّتي عدّة مرات من ركلات الجنود، حين كانوا يركضون خلفنا وقت المظاهرات ضدّ الحواجز، وزاد حي لها حين منعت عني الرصاص المطاطي في يوم ساخن، أمام مدرستنا»²، وهذه مفارقة جميلة، إذ كيف لأداة أن تعمل عملاً مضاداً، وتقف في وجه مستخدميها لتساعد الأطفال الفلسطينيين في أوقاتهم الحرجة خلال المظاهرات، كأن يكون الدم الأحمر سبيلاً للنجاة، وليس رمزاً للموت المحتم في زوايا أرض فقدت حاميتها وزارعها.

3.3. رمزية الأسماء:

يقوم أي عمل روائي على تشاركية سردية بين مجموعة من الشخصيات التي تؤدي وظائف معينة من أجل إنجاز العمل وإيصال الحبكة إلى الانفراج والحل، وكل شخصية من تلك الشخصيات تحمل اسماً معيناً، يختاره الكاتب بعناية وقصدية تامة، فتحمل في دواخلها معاني ذلك الاسم، وتتحرك تطابقاً مع معناه أو مخالفاً تماماً له، ويتعمد الكاتب ذلك لإدهاش القارئ الذي يجد نفسه في مفارقة دلالية بين تصرف الشخصية ومعنى اسمها، وسنحاول في النقاط التالية شرح بعض الأسماء التي لها تأثير واضح على مجريات الأحداث داخل الرواية:

➤ ماسة:

أعطى الروائي هذا الاسم ميزة خاصة، حتى أنه توجّ كعنوان للرواية، لما له من رمزية قوية، فهو يحيل إلى دولة فلسطين، تلك الألماسة التي تمّ تغييب قضيتها، حتى غدت ألعوبة بين الدول المهيمنة الإمبريالية، تقسم أراضيها كيفما تشاء، وتمنح لمن تشاء حق الاستيطان فيها دون أن ينازعها في الأمر شيء: «أنا ماسة، سمراء اللون، ولكني جميلة، عمري سبع عشرة سنة، مرّة أخرى سمراء،

¹ المصدر نفسه، ص 17، 18.

² المصدر نفسه، ص 17.

مميّزة بلوني في الفصل، وحين كنت أرتدي المزيّلة الزرقاء، وأضع الطوق الأبيض على رأسي، وأحمل حقيقتي الحمراء، ترتفع القبعات لتحتي¹، وتلك تجميعة لألوان العلم الفلسطيني، في لباس طفلة صغيرة، قادمة إلى الدنيا بشغف، تحاول تقديم الأفضل لبلادها يوم تنكرت لها بلدان مجاورة، وقد ازداد الوضع سوءاً مع التطبيع الذي مارسته الدول العربية مع الصهاينة، إذ تم تناسي دولة اسمها فلسطين، وتم استبدالها بشبه دولة تسمى جهلاً إسرائيل، وهذا خطر كبير يهدد بضياع تلك الأمانة إن لم يتدارك العرب الوضع، ويقفوا جنباً إلى جنب في وجه الاحتلال، من أجل إخراجه واسترداد الدولة المنهوبة وإرجاعها إلى أهلها الأصليين.

➤ مزبون:

يرمز هذا الاسم بالنظر إلى معناه إلى الطرب والسرور رغم المآسي التي يعاني منها الشعب الفلسطيني، بفعل الأسلاك الشائكة والجدار العازل الذي وضعه الاحتلال، وما زال يمشي الهويني، حتى يسيطر على كافة المزرعة التي هي فلسطين: «ابن عمي مزبون كان رغم صغر سنّه قائد فريق الدبكة والأغاني في المدرسة، وكان يجي حفلات المدرسة، ويلوّح ويقفز، ويطير في الهواء، ويفعل حركات مضحكة وشائكة. والجميل في الأمر، أن جدّي وجدّي حَضراً إحدى الحفلات المدرسية مع أولياء الأمور، وشاركا مزبون الدبكة والغناء، مما شجع ناظر المدرسة والمدرسين على مشاركة جدّي الرقص. كان يوماً حافلاً بالضحك والحب، وجدّي غنّت بعض الأغاني. وفجأة سقطت قنبلة غاز مسيل للدموع وسط الحفل، فصار الجميع يبكي، ويركضُ خوفاً²، وهذه عبارة عن مقاومة، تشي بقوة صغيرة متيقظة داخل كل طفل يتسم ويضحك رغم كل ما يراه من تهجير صامت، ولجوء قهري، وتمييز عنصري في المدارس، وأساليب الضرب والتنكيل التي يمارسها الجيش الإسرائيلي مع كل مواطن فلسطيني على أطراف الجدار وخارجه، داخل المدرسة وخارجها، وسط السوق وخلفه.

➤ زينة:

هي ابنة "ماسة"، يعني ابنة فلسطين، الحاملة معنى الاستقلال والفرح والجمال، وهي نظرة استشرايفية للمستقبل الذي يخبئ بشارات الفوز والنجاح في إخراج العدو من الأرض المقدسة، بداية من حيفا وصولاً إلى غزة، مروراً بالقدس وبئر السبع والناصرة وكل الدول الفلسطينية القابعة حالياً تحت وطأة الاستعمار، تعاني خيبات الأمل، وترجو يوماً ترفرف فيه الأعلام الفلسطينية في كل زاوية من أرض الله المقدسة: «نعم تزوجتُ من شابٍ يُشبه الجزائريّ، وكانت رائحته تشبه رائحة جواد، حين حضر أول مرة لبيتنا، لم أقل لا، بل بكلّ إصرار وافقتُ عليه. وبعد عام من الزواج رُزقتُ بزينة وأسميتها على اسم جدّي³، فأمل الاستقلال يبقى راسخاً في ذهن كل مواطن فلسطيني، من الكبير إلى آخر العنقود في المنزل، وفكرة لمّ الشمل من جديد تبقى حاضرة في نفس كل مؤمن بعودة الأرض يوماً لأهلها، هناك فقط تتم الفرحة، وتزين الفتاة الفلسطينية بأبهى اللباس طرباً بالانتصار والفوز على العدو.

¹ هاني السالمي: ماسة، ص 17.

² هاني السالمي: ماسة، ص 18، 19.

³ المصدر نفسه، ص 59.

4.3. رمزية الجماد:

أعطى الكاتب أهمية كبيرة للأشياء، حيث حمل كل جامد في الرواية دلالة خاصة، حتى أن المتلقي يندهش أمام ردود الفعل التي قد يقدمها الشيء في سبيل إنقاذ الأبرياء من الأطفال والشباب والشيوخ، خلال المعركة وبعدها، وهناك من الأشياء ما تسهم في إشعال فتيل المواجهة والخوف بين المتصارعين على الأرض والعلم، وسنحاول في ما يأتي ذكر أهم الرموز التي استطاعت تمرير عجلة الأحداث وأعطت للرواية معاني أخرى، زادتها ثراء وتحدياً:

➤ الجدار العازل:

ترتكز معظم أحداث الرواية على قصة الجدار العازل، الذي قسم دولة فلسطين إلى فصائل متفرقة، ووضع قوانين جبرية قاهرة، كإظهار الهوية كل يوم أمام الجنود، وانتظار بوابة الجدار حتى تنفتح من أجل ذهاب الأطفال إلى المدرسة، هي معاناة كبيرة يعانها الشعب الفلسطيني كل يوم: «الحاجز ليس ببعيد عن المستشفى، والحاجز قريب من كل جزء عندنا، تجده حتى في أحلامك ركضت مسرعة، وقلت في نفسي: "سوف ألحق بها على الحاجز". مشيت بين السيارات أفتش عنها، وأنظر داخل كل سيارة. الوجوه تتشابه، والمريض شبه السليم، والسليم شبه المريض، من مرارة الحاجز»¹، هذه حال المواطنين داخل الجدار وخارجه، من معاناة إلى معاناة أشد، انتظار مرير، تنكيل عسكري مستفز، تمييز عنصري قاتل، هو القتل بعينه، والجبروت في أكمل صورته.

➤ الحجارة:

الحجارة لها رمزية خاصة في الموروث السياسي لدولة فلسطين، فهي تذكر بانتفاضة الشعب الفلسطيني في وجه المستعمر: «جواد، الشاب المقاوم، خبير في رمي الحجارة، كأنه قنّاص أسود، وكثيراً ما يتجمع الأطفال والناس حوله، ويقول لهم وهو يحمل حجراً: "سوف أصيب نافذة سيارة الجيش." وحقاً كان بارعاً، حين يلقي الحجر في الفضاء، يطير كالسنونو في فصل الصيف»²، فالحجارة مقاومة وسلاح مضاد، يلجأ إليه الشباب عندما يرون عمر الجدار في ازدياد وتقدم ليحتل جميع أراضيهم، ويشتت شملهم ويحتكر الدولة له وحده، دون رخصة قانونية، أو حق دولي.

➤ البالون:

البالون في الرواية هو الأمل في مستقبل زاهر يعيد الحرية والعدالة لكل دولة مستعمرة، ويعيد لم شمل الآباء مع أبنائهم، في عودة جماهيرية واسعة تندد بالاحتلال وتدعو إلى تفكيكه، وردع العنصرية القاتلة التي تميز بين الناس على أساس العرق والدين واللون: «كان أحدهم شجاعاً، فاقترب من الجدار، وكان يحمل ألواناً، وبدأ يرسم الطفلة تمسك بيدها بالوناً وتطير عالياً. الفتاة التي رسمها كانت تُشبهني جداً، كما أنه جعلها سوداء، كم كنت جميلة في الرسمة! الشيء المدهش فتاة سوداء من بينهم، الكل كان يدور حولها، كأنها قائد المجموعة، اقتربت من الجزائري، وقلتُ له: "من هذه الفتاة؟ ولماذا يسألها الكل؟" قال: "هذه من أمريكا، وعائلتها

¹ هاني السلمي: ماسة، ص28.

² المصدر نفسه، ص37.

عانت من العنصرية ضد اللون الأسود، جُدها قُتل على يد رجل أبيض، وهي تعمل في حقوق الإنسان ضد العنصرية»¹، وتلك مجاهبات مضادة تعمل على نشر السلام بين الناس، ورسمه على الجدار العازل كنوع من التفريغ والمقاومة، وطموحا إلى نيل الاستقلال وعودة كل مهاجر إلى أرضه بعد فراق جبيري طويل.

4. خاتمة:

ستبقى القضية الفلسطينية ندبة مؤلمة وشرخا عظيما في جسد الأمة العربية حتى تأخذ بثأرها من المعتدين، وسيبقى الكاتب العربي يتلوى في جراحه حين لا ينفعه الخبر في الدفاع عن وطنه بنفس السلاح المدمر الذي تعتمده القوة الإسرائيلية في الهجوم، وسيبقى عزائه الوحيد الفضفضة والصراخ الرمزي في صفحاته البيضاء، عساه يحرك مشاعر شعب متردد، بدعوته إلى الانتفاضة والنهوض لإخراج العدو من الأرض المقدسة. وختاما لما تم عرضه تخلص هذه الورقة البحثية إلى عدة نتائج، يمكن إدراجها كالتالي:

- لقد حاول النقاد العرب تتبع تطور الرمز ككيان ملموس داخل الروايات العربية، فاستحدثوا آليات وأدوات تكشف المعاني المتخفية وراء كلمات بعينها داخل النص الأدبي، وتشكل علاقات متشابكة مع المداليل الأخرى، حتى تغدو الكلمة رمزا عاما يهيمن على الوحدات الكبرى والصغرى داخل النص، ويكون بمنزلة اللبنة التي إن زالت تحطم جدار المعنى.
- تتفق معظم الروايات الفلسطينية على تصوير الراهن من الأحداث السياسية والاجتماعية التي تعيشها المناطق المحتلة من طرف العدو الصهيوني، وتمنح نظرة استشرافية للمستقبل، كلها آمال في عودة الحرية والعدالة للأراضي الفلسطينية.
- تحمل رواية "ماسة" رمزية خاصة، انطلاقا من العنوان، وصولا إلى آخر نقطة ختامية في الرواية، فهي تجميع رمزي لدوال لغوية ثقيلة الدلالة، وظفها الكاتب لتمرير رسائله الخفية للمتلقي العربي، بغية إيقاظه من حياة الغفلة التي يعيشها، ومشاركته تفاصيل حياة الفلسطيني بقرب الجدار العازل، الذي قسم فلسطين إلى فصائل متباعدة ومشتتة.
- يقوم أي عمل روائي على تشاركية سردية بين مجموعة من الشخصيات التي تؤدي وظائف معينة من أجل إنجاز العمل وإيصال الحبكة إلى الانفراج والحل، وكل شخصية من تلك الشخصيات تحمل اسما معينا، يختاره الكاتب بعناية وقصدية تامة، فتحمل في دواخلها معاني ذلك الاسم، وتتحرك تطابقا مع معناه أو مخالفة تماما له.
- أراد الروائي من خلال تجميع الألوان داخل روايته، رسم معالم القضية الفلسطينية، وتلوينها مجازا بألوان رمزية، تحيل في صبغة منها إلى القوة والانتصار اللذان يعقبان كل عزيمة وإرادة مخلصة في النجاح والتجاوز.

وفي الأخير تدعو هذه الورقة البحثية مختلف الدارسين إلى ضرورة الاهتمام بالخطابات الروائية الفلسطينية وتفكيكها؛ ودراسة تاريخها الحافل بالحروب والآهات، لأنّ القلم الفلسطيني سلاح يفضي بالكثير من الأسرار التي يجب معاينتها لكي نستطيع فهم الرموز التي يود الكاتب تمريرها إلينا كقراء وباحثين.

¹ المصدر نفسه، ص46.

5. قائمة المراجع:

1. المؤلفات:

- إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، (تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، 1986).
- أحمد سالم رحال: فلسطين بين حقيقة اليهود وأكذوبة التلمود، دار البداية، (عمان: دار البداية، 2008).
- ترفيتان تودوروف: نظريات في الرمز، تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، (لبنان: المنظمة العربية للترجمة، 2012).
- جمال حمدان: فلسطين أولاً.. إسرائيل، مكتبة مدبولي، (فلسطين: مكتبة مدبولي، د.ت).
- راغب السرجاني: فلسطين واجبات الأمة، مؤسسة اقرأ، (مصر: مؤسسة اقرأ، 2010).
- زهيرة بوزيدي: جماليات النص الشعري الصوفي عند الأمير عبد القادر الجزائري، دار خيال، (الجزائر: دار خيال، 2021).
- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، (مصر: مكتبة ابن سينا، 2002).
- عمر صالح البرغوثي، و خليل طوطح: تاريخ فلسطين، مكتبة الثقافة الدينية، (مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 2001).
- محمد احريك: الوعد الخرافي أسطورة التواجد الإسرائيلي في فلسطين، مكتبة دهورك، (فلسطين: مكتبة دهورك، د.ت).
- محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ج1، دار الفارابي، (لبنان: دار الفارابي، 1994).
- محمد عمارة: إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين، دار نضضة مصر، (مصر: دار نضضة مصر، 1998).
- محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، (مصر: دار المعارف، 1984).
- هاني السالمي: ماسة، مؤسسة هنداوي، (مصر: مؤسسة هنداوي، 2021).

References

- Ibrāhīm Fathī : Mu‘jam al-muṣṭalahāt al-adabīyah, al-Mu‘assasah al-‘Arabīyah lil-Nāshirīn al-Mattaḥidin, (Tūnis : al-Mu‘assasah al-‘Arabīyah lil-Nāshirīn al-Mattaḥidin, 1986).
- Aḥmad Sālīm Raḥḥāl : Filasṭīn bayna Ḥaḥīqat al-Yahūd w’kdhwbh al-Talmūd, Dār al-Bidāyah, (‘Ammān : Dār al-Bidāyah, 2008).
- Tarjamah, (Lubnān : al-Munazzamah al-‘Arabīyah lil-Tarjamah, 2012).
- Jamāl Ḥamdān : Filasṭīn awwalan .. Isrā’īl, Maktabat Madbūlī, (Filasṭīn : Maktabat Madbūlī, D. t).
- Rāghib al-Sirjānī : Filasṭīn wājibāt al-ummah, Mu‘assasat Iqra’, (Miṣr : Mu‘assasat Iqra’, 2010).
- Zuhayrah Būzaydī : Jamālīyāt al-naṣṣ al-shi‘rī al-Ṣūfī ‘inda al-Amīr ‘Abd al-Qādir al-Jazā’irī, Dār Khayyāl, (al-Jazā’ir : Dār Khayyāl, 2021).
- ‘Alī ‘Ashrī Zāyid : ‘an binā’ al-qaṣīdah al-‘Arabīyah al-ḥadīthah, Maktabat Ibn Sīnā, (Miṣr : Maktabat Ibn Sīnā, 2002).
- ‘Umar Ṣālīḥ al-Barghūthī, wa-Khalīl Ṭūṭaḥ : Tārīkh Filasṭīn, Maktabat al-Thaqāfah al-dīnīyah, (Miṣr : Maktabat al-Thaqāfah al-dīnīyah, 2001).
- Muḥammad aḥrbk : al-wa‘d al-Khirāfī usṭurat al-tawājjud al-Isrā’īlī fī Filasṭīn, Maktabat Duhūk, (Filasṭīn : Maktabat Duhūk, D. t).
- Muḥammad ‘Ajīnah : Mawsū‘at Asāṭīr al-‘Arab ‘an al-Jāhīlīyah wa-dalālātuhā, j1, Dār al-Fārābī, (Lubnān : Dār al-Fārābī, 1994).
- Muḥammad ‘Imārah : Islāmīyah al-ṣirā’ ḥawla al-Quds wa-Filasṭīn, Dār Nahḍat Miṣr, (Miṣr : Dār Nahḍat Miṣr, 1998).
- Muḥammad Fattūḥ Aḥmad : al-ramz wālrmzyh fī al-shi‘r al-mu‘āṣir, Dār al-Ma‘ārif, (Miṣr : Dār al-Ma‘ārif, 1984).
- Hānī al-Sālīmī : Māsah, Mu‘assasat Hindāwī, (Miṣr : Mu‘assasat Hindāwī, 2021).